

الوافي في الوفيات

فقال له : اجلس يا أبا القاسم ! .

وقال صاحب : ما قطعني إلا شاب ورد علينا إلى أصبهان بغدادي فقصدي فأذنت له وكان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طاق فنظرت إلى حاجبي فقال له وهو يصعد إلي : اخلع نعلك ! . فقال : ولم ؟ لعلني أحتاج إليها بعد ساعة ! .

فغلبني الضحك وقلت : أترأه يريد أن يصفعني ؟ وقال محمد بن المرزبان : كنا بين يديه ليلةً فنعس وأخذ إنسان يقرأ سورة الصافات فاتفق أن بعض هؤلاء الأجلاف من أهل ما وراء النهر نعس أيضاً وضرط ضرطهً منكراً فانتهبه وقال : يا أصحابنا نمنا على " والصافات " وانتبهنا على " والمرسلات " . وقال أيضاً : انفلتت ليلةً ضرطهً من بعض الحاضرين وهو في الجدل فقال على حدته : كانت بيعة أبي بكر خذوا فيما أنتم فيه ! .

يعني أنه قيل في بيعة أبي بكر Bه : إنما كانت فلتة . وقال قوم من إصبهان للصاحب : لو كان القرآن مخلوقاً لجاز أن يموت ولو مات القرآن في آخر شعبان بماذا كنا نصلي التراويح في رمضان ؟ فقال صاحب : لو مات القرآن لكان يموت رمضان ويقول : لا حياة لي بعدك ولا نصلي التراويح ونستريح ! .

ويقال : إن ابن أبي الحظيري أتى إليه يوماً فقام له فمر مسرعاً لأجله فضرط فقال : يا مولانا صاحب هذا صرير التخت . فقال : بل صفير التخت ! . فذهب وقد استحيى وانقطع فكتب إليه من البسيط :

قُلْ لِلْحَظِيرِيِّ لَا تَذْهَبُ عَلَى خَجَلٍ ... مِنْ ضَرْطَةٍ أَشْبَهَتْ نَائِيًا عَلَى عَوْدٍ .
فإنَّهَا الرِّيحُ لَا تَسْطِيعُ تُمْسِكُهَا ... إِذْ لَسْتَ أَنْتَ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ .

وكان صاحب قد ولى عبد الجبار الأسداباذي قضاء القضاة بهمدان والجبالي فاستقبله يوماً ولم يترجل له . وقال : أيها صاحب أريد أن أترجل للخدمة ولكن العلم يأبى ذلك . وكان يكتب في عنوان كتابه : إلى صاحب داعيه عبد الجبار بن أحمد ثم كتب : وليه عبد الجبار بن أحمد ثم كتب عبد الجبار بن أحمد . فقال صاحب لندمائه : أظنه يؤول أمره إلى أن يكتب الجبار وقال ابن بابك : سمعت صاحب يقول : مدحت والعلم عند الله بمائة ألف قصيدة شعراً عربيةً وفارسيةً وقد أنفقت أموالني على الشعراء والأدباء والزوار والقصاد ما سررت بشعر ولا سرنى شاعر كما سرنى أبو سعيد الرستمي الأصبهاني بقوله :

ورث الوزارة كابرًا عن كابرٍ . البيتين .

كتب عامل إليه رقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فعل . فوقع صاحب

تحتها : من كتب إشغالي لا يصلح لأشغالي ووقع إلى أبي الحسن الشقيقي البلخي : من نظر لدينه نظرنا لدنياه فإن آثرت العدل والتوحيد بسطنا لك الفضل والتمهيد وإن أقمت على الجبر فما لكسرك جبر . ولما كان بيغداد قصد القاضي أبا السائب عتبة بن عبيد لقضاء حقه فتثاقل في القيام له وتحفز تحفزاً أراه به ضعفاً عن حركته وقصور نهضته فأخذ صاحب بضعه وأقامه وقال : نعين القاضي على قضاء حقوق إخوانه ! .

فخجل القاضي أبو السائب واعتذر إليه . ووجد يوماً بعض ندمائه متغير السحنة فقال : ما الذي بك ؟ قال : حَمَا . فقال له صاحب : قَه . فقال له النديم : وه . فاستحسن ذلك منه وخلع عليه . قلت : إنما قال له صاحب قه لأنه لا يقال إلا حمياً فأضاف إليها القاف والهاء لتصير حماقه فلفظ النديم وطرف في زيادة الواو والهاء ليصير ذلك قهوة . ضرب صاحب معلمه يوماً فأنشد يقول من البسيط : .

أودعتني العلمَ فلا تجهلِ ... كم مَقُولٍ يجني على المقتلِ .
أنت وإن علاَّمتني سوقةً ... والسيف لا يُبقي على الصَّيقلِ .